أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

جَيْبٌ مَليءٌ بالحُبوب

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

جَيْبٌ مَليءٌ بالحُبوب

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٥٣

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: جهاد الكردي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٥٣ بعنوان

A Pocket Full of Rye

Copyright Agatha Christie Mallowan 1953

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الأولى
٢٠٢٠

الفصل الأول

كان دَوْر الآنسة سومرز في إعداد الشاي. والآنسة سومرز هي أحدث طابعة بين الطابعات العاملات في شركة الاستثمارات الموحدة وأقلهن كفاءة، وهي امرأة تجاوزت سن الشباب ولها شخصية توحي بالانقياد ووجه تظهر فيه علامات القلق والخنوع. ولم يكن ماء الإبريق يَغلي عندما سكبت سومرز الماء على الشاي، ولكن المسكينة لم تعرف أبداً متى يغلي إبريق الشاي عادة، وكانت تلك إحدى المنغّصات الكثيرة التي تسبب لها القلق في حياتها.

صبّت الشاي ودارت بالفناجين بعدما وضعت مع كل فنجان قطعتين من الكعك المُحلَّى. فامتعضت الآنسة غريفيث، كبيرة الطابعات الصارمة القديرة ذات الشعر الرمادي التي تعمل في الشركة منذ ستة عشر عاماً، وقالت بحدّة: مرة أخرى أعددت الشاي دون أن يغلي الماء يا سومرز!

احمَرّ وجه الآنسة سومرز القلِق الخانع وقالت: يا إلهي! لقد ظننت حقاً أنه يغلي هذه المرة.

فكرت الآنسة غريفيث: لن تبقى إلا شهراً آخر لأننا مشغولون كثيراً هذه الفترة. يا للفوضى التي سبّبتها هذه الغبية السخيفة عندما طبعت تلك الرسالة لشركة «إيسترن ديفيلو»... رغم أنها كانت

مهمة سهلة واضحة! وهي غبية في صنع الشاي أيضاً. لولا صعوبة الحصول على طابعات ذكيّات لكنت...

ومثل كثير من النجوى الساخطة للآنسة غريفيث بقيت الجملة غيرَ مكتملة.

في تلك اللحظات بدأت الآنسة غروسفينر بإعداد فنجان من الشاي الجيد للسيد فورتسكيو. كان السيد فورتسكيو يشرب شاياً مختلفاً بكوب مختلف ويأكل كعكاً خاصاً، فقط إبريق الغلي والماء المأخوذ من الحنفية كانا مشترَكين مع الآخرين. في هذه المرة ولأن الشاي للسيد فورتسكيو فقد غُلي الماء، وقد تأكدت الآنسة غروسفينر من غليانه.

كانت الآنسة غروسفينر شقراء فاتنة بشكل لا يصدق، وكانت ترتدي بدلة سوداء جميلة التصميم جيدة الحياكة. عادت ودخلت غرفة الطابعات دون أن تتنازل وتتلطف على أي واحدة منهن بكلمة أو نظرة، كما لو أنهنّ كُنّ مجموعة من الحشرات. كانت الآنسة غروسفينر السكرتيرة الشخصية الخامسة للسيد فورتسكيو، وقد ألمحت الشائعات السيئة دوماً إلى أنها أكثر من سكرتيرة، لكن هذا لم يكن صحيحاً في واقع الأمر، فقد تزوج السيد فورتسكيو مؤخراً زوجة ثانية، وهي امرأة فاتنة راقية وقادرة تماماً على شغل كل اهتمامه. لقد كانت الآنسة غروسفينر بالنسبة للسيد فورتسكيو مجرد جزء ضروري من ديكور المكتب، ذلك الديكور الذي كان مترفاً فخماً ثميناً.

عادت الآنسة غروسفينر وهي تحمل صينية تمدها أمامها كمن يؤدي طقس تقديم قربان من القرابين، فعبرت المكتب الداخلي

حيث غرفة الانتظار التي كان يُسمَح للزبائن المهمين أن يجلسوا فيها، ثم إلى غرفتها الصغيرة، ثم أخيراً نقرت بلطف على الباب ودخلت إلى مكتب السيد فورتسكيو.

كان مكتبه حجرة كبيرة ذات أرضية من الخشب اللامع الفاخر غطته بعض قطع السجاد الشرقي الفاخر. كان الخشب الزاهي الألوان يغطي أرجاء الغرفة مع بعض المقاعد الفخمة، وخلف مكتب ضخم في وسط الغرفة ومركز الأهمية فيها جلس السيد فورتسكيو نفسه.

لم يكن السيد فورتسكيو فخم المظهر بدرجة تتناسب مع فخامة مكتبه، ولكنه كان يبذل جهده ليبلغ ذلك المستوى من الفخامة. كان ذا جسم ضخم مترهّل ورأس أصلع لامع، ويهوى ارتداء ملابس صوفية فضفاضة ريفية وهو في مكتبه في المدينة.

كان يتأمل بعض الأوراق على مكتبه وقد قطب جبينه عندما انسلّت الآنسة غروسفينر إلى جانبه بحركة رشيقة، فوضعت الصينية على المكتب قريباً منه وقالت بصوت خافت: تفضل الشاي يا سيد فورتسكيو.

لم تكن مساهمة السيد فورتسكيو في هذه الشعائر إلا مجرد صوت ضعيف يدل على ملاحظة الشاي. ثم خرجت الآنسة غروسفينر من الغرفة فجلست وراء مكتبها ثانية وبدأت بالعمل الذي بين يديها. أجرت مكالمتين هاتفيتين وصححت بعض الرسائل التي كانت جاهزة ليوقع السيد فورتسكيو عليها، واستقبلت مكالمة هاتفية حيث ردّت على المتحدث بلهجة متغطرسة قائلة: أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً الآن، فالسيد فورتسكيو في اجتماع.

وعندما وضعت السماعة نظرت إلى ساعة الجدار التي كانت تشير إلى الحادية عشرة وعشر دقائق، وفي تلك اللحظة اخترق صوت غير عادي باب مكتب السيد فورتسكيو العازل للصوت. كان صوتاً مكبوتاً ولكنه مميَّز تماماً، صرخة معذَّبة مخنوقة! وفي اللحظة نفسها رنّ الجرس الداخلي على مكتب الآنسة غروسفينر في استدعاء مسعور طويل ومتواصل.

للوهلة الأولى جمّدت المفاجأة والهلع الآنسة غروسفينر فلم تقدر على الحركة، ثم نهضت مضطربة، واهتزّت صورة اتزانها المصطنَع وقد ووجهت بغير المتوقَّع، ومع ذلك فقد تحركت باتجاه باب مكتب السيد فورتسكيو بطريقتها المعتادة الشبيهة بالتمثال وضربت على الباب ثم دخلت. وساهم ما رأته أمامها في القضاء على ما بقي من اتّزانها المصطنع، فقد بدا رئيسها وراء مكتبه وقد التوت قسمات وجهه من الألم، وكانت حركاته المتشنّجة تخيف الناظر إليها. قالت الآنسة غروسفينر: يا إلهي! أأنت مريض يا سيد فورتسكيو؟

أدركت على الفور غباء سؤالها، فلم يكن ثمة شك في أن السيد فورتسكيو كان مريضاً على نحو خطير، وعندما اقتربت منه كان جسده يتشنج بحركة متألمة متقطعة. خرجت الكلمات من فمه على شكل لهاث متقطع: الشاي... تباً! ماذا وضعتِ في الشاي؟ ... اطلبي النجدة... أحضري الطبيب بسرعة...

هرعت الآنسة غروسفينر خارج الغرفة. لم تعد تلك السكرتيرة الشقراء المتشامخة، بل بدت امرأة مذعورة فقدت صوابها. جاءت

تركض إلى مكتب الطابعات وهي تصرخ: لقد أصيب السيد فورتسكيو بنوبة... إنه يموت! يجب أن نحضر طبيباً، إن منظره مخيف... أنا واثقة أنه يموت.

كانت ردود الفعل فورية ومتباينة كثيراً. قالت الآنسة بيل أصغر الطابعات سناً: إذا كانت نوبة صَرْع فعلينا أن نضع في فمه قطعة من الفِلّين. مَن منكنّ عندها قطعة من الفلين؟

لم يكن لدى أحد قطعة فِلّين. وقالت الآنسة سومرز: في مثل عمره يحتمل أن تكون سكتة دماغية.

وقالت الآنسة غريفيث: يجب أن نحضر طبيباً، فوراً.

ولكن كفاءتها المعتادة تشوّشت بعض الشيء، فخلال سنوات عملها الستّ عشرة لم يُستَدْعَ أي طبيب إلى المكتب. أين يمكن أن تجد طبيباً قريباً من المكتب؟ لم يعرف أحدٌ جوابَ هذا السؤال.

فتحت الآنسة بيل دليل الهاتف وبدأت تبحث عن أطباء، ولكنه لم يكن دليلاً مبوَّباً فلم تجد الأطباء مرتَّبين في تسلسل متتابع كسيارات الأجرة. اقترحت واحدة الاتصال بالمستشفيات، ولكنْ أيّ مستشفى؟ أصرت الآنسة سومرز قائلة: يجب أن يكون اتصالنا بالمستشفى الصحيح وإلا فلن يأتوا. أقصد بسبب تعليمات الصحة الوطنية لا بد أن يكون المستشفى في المنطقة ذاتها.

اقترحت أخرى الاتصال بالرقم ٩٩٩، إلا أن الآنسة غريفيث صُدمت بهذا الاقتراح وقالت إنه يعني استدعاء الشرطة، وهذا لن ينفع.

وهكذا أظهرت مجموعة من النساء اللاتي يتمتعن بذكاء جيد جهلاً لا يصدَّق (بالنسبة لمواطني بلد يتمتع بانتشار الخدمات الطبية ومجانيتها) في معرفة الإجراءات الصحيحة التي ينبغي اعتمادها.

بدأت الآنسة بيل في البحث عن أرقام الإسعاف تحت حرف الألف، وأبلغت الآنسة غريفيث تعليماتها لعامل النظافة بأن يخرج ويبحث عن طبيب، أيّ طبيب في أيّ مكان. وفي دفتر العناوين الخاص وجدت الآنسة غريفيث اسم الدكتور إدوين ساندمان وعنوانه في شارع هارلي.

انهارت الآنسة غروسفينر على كرسيها وصاحت بنبرة غريبة: أنا التي صنعت الشاي بنفسي، تماماً مثل كل مرة. هذا ما فعلته حقاً... لا يمكن أن يكون فيه شيء غير طبيعي.

كانت الآنسة غريفيث تحاول الاتصال بالهاتف، فتوقفت وسألتها: فيه شيء غير طبيعي؟ لماذا تقولين هذا؟

- هو الذي قالها... السيد فورتسكيو، قال إنه من الشاي.

تأرجحت يد الآنسة غريفيث وهي لا تدري هل تتصل بالطبيب أم بالرقم ٩٩٩، وقالت الآنسة بيل الشابة المتفائلة: يجب أن نعطيه بعض الخردل والماء فوراً. أليس في المكتب خردل؟

لم يكن في المكتب خردل. وبعد فترة قصيرة التقى الدكتور إيزاكس من مستشفى بيثنال غرين والدكتور إدوين ساندمان في المصعد بينما كانت سيّارتا إسعاف تتوقفان أمام المبنى، فقد قام كل من عامل الهاتف وعامل النظافة بعملَيهما على أحسن ما يكون.

* * *

الفصل الثاني

-١-

جلس المفتش نيل وراء الطاولة الضخمة في مكتب السيد فورتسكيو، وجلس أحد موظفيه على كرسي قرب الباب وهو يحمل دفتر ملاحظات دون أن يتدخل بكلمة واحدة.

كان المفتش نيل ذا جسم عسكري متناسق وشعر أجعد بنّي ممشط إلى الوراء مُظهِراً جبهتَه الضيقة، وعندما نطق بعبارته قائلاً "إنها مجرد مسألة روتين" فكرت المخاطَبات قائلات في أنفسهن: والروتين هو كل ما تفلح فيه!

لكنهن كُنّ مخطئات في هذا التصور، فمظهر المفتش نيل الذي بدا مفتقراً إلى الخيال كان يخفي وراءه مفكراً على درجة عالية من الخيال، وكان أحد أساليبه في التحقيق هو أن يقترح على نفسه نظريات تجريم غريبة خيالية يطبقها على الأشخاص الذين يحقق معهم.

حين نظر إلى الآنسة غريفيث أدرك على الفور بعينه الثاقبة أنها أفضل مَن يعطيه سرداً دقيقاً موجزاً لما جرى. وبعد أن قدمت له ملخصاً يثير الإعجاب عما حصل صباح ذلك اليوم تركت الغرفة إلى الخارج. واقترح المفتش نيل على نفسه ثلاثة أسباب مختلفة

خيالية ومفصلة يمكن أن تدفع رئيسة الطابعات المخلصة إلى وضع السم في فنجان شاي رئيسها، ثم رفض هذه الأسباب لأنها بعيدة الاحتمال. وقد صنف الآنسة غريفيث على أنها: (أ) ليست من النوع الذي يضع السم للآخرين. (ب) ليس بينها وبين رئيسها علاقة حب. (ج) ليس فيها اضطراب عقلي ظاهر. (د) ليست بالمرأة التي تحمل أحقاداً. والحق أن هذا يدعوه إلى استبعاد الآنسة غريفيث وعدم الحاجة إليها إلا كمصدر للمعلومات الدقيقة.

نظر المفتش نيل إلى الهاتف. كان يتوقع مكالمة من مستشفى سينت جود في أي لحظة. كان ممكناً بالطبع أن يكون مرض السيد فورتسكيو المفاجئ ناتجاً عن أسباب طبيعية، لكن الدكتور إيزاكس من مستشفى بيثنال غرين لم يعتقد ذلك، ومثله الدكتور إدوين ساندمان.

ضغط المفتش نيل على الجرس القريب من يده اليسرى وطلب أن يُدخلوا إليه سكرتيرة السيد فورتسكيو الشخصية. كانت الآنسة غروسفينر قد استعادت شيئاً من توازنها وترفّعها المصطنع، ولكنه لم يكن بالشيء الكثير. دخلت خائفة تترقب وقد غابت عن حركاتها تلك الرشاقة المترفعة وقالت فوراً بأسلوب دفاعي: أنا لم أفعل ذلك!

أشار المفتش إليها بالجلوس على الكرسي الذي اعتادت الجلوس عليه بنفسها حين كانت تُستدعى لتدوين رسائل السيد فورتسكيو. جلست الآن كارهة ونظرت إلى المفتش نيل خائفة، أما المفتش نفسه فقد بدا مُطْمئناً وعليه مسحة سذاجة بسيطة.

قالت الآنسة غروسفينر: لم يكن في الشاي أي شيء... لا يمكن أن يكون الأمر كذلك.

قال المفتش نيل: نعم، بالتأكيد. اسمك وعنوانك من فضلك؟

- غروسفينر، آيرين غروسفينر.

- وعنوانك؟

- ١٤ شارع راشمون، موسويل هِلْ.

أومأ المفتش نيل راضياً وقال في نفسه: بيت محترم وحياة في كنف عائلة، لا علاقة حب محتمَلة ولا ابتزاز. أزاح من عقله مجموعة كبيرة من الفرضيات الخيالية وقال بمرح: إذن أنت التي أعددت له الشاي؟

- كان هذا مفروضاً عليّ... أقصد أنني أعدّ له الشاي دائماً.

وبلا عجلة أخذ المفتش نيل منها المعلومات عن كيفية إعداد شاي الصباح للسيد فورتسكيو. الفنجان والصحن وإبريق الشاي كانت كلها قد جُمعت وأرسلت إلى الجهات المعنية لتحليلها، وقد عرف المفتش نيل الآن أن آيرين غروسفينر هي وحدها التي مَسَّت الفنجان والصحن وإبريق الشاي، كما علم أن الإبريق يستخدم في صنع الشاي الخاص بموظفي المكتب، وقد أعيدت تعبئته بالماء من الصنبور بواسطة الآنسة غروسفينر.

- وماذا عن أوراق الشاي؟

- كان الشاي الخاص بالسيد فورتسكيو نفسه. إنه شاي صيني

خاص، وهو يُحفَظ على الرف في غرفتي المجاورة.

أومأ المفتش نيل برأسه، ثم سأل عن السكّر فقالت الآنسة غروسفينر إن السيد فورتسكيو لم يكن يشرب الشاي بالسكر.

في تلك اللحظة رن الهاتف فرفع نيل السماعة، وتغيّر وجهه قليلاً وهو يقول: سينت جود؟

أومأ للآنسة غروسفينر بالانصراف قائلاً: يكفي هذا الآن، شكراً لك يا آنسة غروسفينر.

خرجت الآنسة غروسفينر من الغرفة مسرعة، وأصغى المفتش نيل بانتباه شديد إلى الصوت الخالي من العاطفة الذي كان يتكلم من مستشفى سينت جود، وبينما كانت صاحبة الصوت تتكلم كان يكتب بعض العبارات والكلمات بقلم رصاص على طرف ورقة أمامه.

سألها: قلتِ إنه مات قبل خمس دقائق؟

نظر إلى ساعة معصمه وكتب على الورقة: في الساعة الثانية عشرة وثلاث وأربعين دقيقة.

قالت صاحبة الصوت إن الدكتور بيرنزدورف نفسه يريد التحدث إلى المفتش نيل، فقال المفتش: حسناً، صِليني به.

وهو ما أحرج صاحبة الصوت التي كان قد سمحت بتسرب قدر من الاحترام إلى لهجتها الرسمية. سمع المفتش وهو ينتظر بفارغ الصبر أصوات طقطقات ورنين وهمهمات بعيدة على الطرف الآخر، ثم أبعد فجأة السماعة عن أذنه عندما بدأ صوت جَهوَري

رنّان في الحديث: مرحباً يا نيل، أيها الرجل العجوز... عدنا ثانية إليك وإلى جثتك؟

كان المفتش نيل والبروفسور بيرنزدورف من مستشفى سينت جود قد اشتركا معاً في قضية تسمم قبل عام، وظلّا منذ ذلك الوقت على علاقة حميمة.

- سمعت أن صاحبنا مات يا دكتور؟

- نعم، لم نستطع أن نقدم له شيئاً بعد وصوله إلى هنا.

- وما سبب الوفاة؟

- من الطبيعي أننا سنشرّح الجثة. إنها قضية مثيرة جداً، مثيرة بالفعل، وأنا سعيد لأنني كنت مشرفاً عليها.

عبارات بيرنزدورف المِهَنية التي أطلقها بنبراته الغنية أوحت إلى المفتش نيل بشيء واحد على الأقل، فقال باهتمام: أفهم من ذلك أنك لا ترى أن الوفاة كانت طبيعية؟

رد عليه الدكتور بيرنزدورف بحيوية: ليس في هذا أدنى احتمال، لكنني أتكلم بطريقة غير رسمية بالطبع.

- بالطبع، بالطبع، هذا مفهوم. هل مات مسموماً؟

- بلا شك. وأكثر من ذلك (وأرجو أن يبقى هذا الكلام بيني وبينك فقط لأنه كلام غير رسمي) فأنا على استعداد للرهان على نوعية السم المستخدَم.

- حقاً؟

- إنه التاكسين يا صديقي، التاكسين.

- التاكسين؟ لم أسمع به من قبل.

- نعم، فهو غير عادي أبداً. إنه حقاً ابتكار غير عادي يدعو إلى الابتهاج! لا أزعم أنني كنت سأعرفه لولا أن حالة مشابهة جاءتني قبل ثلاثة أسابيع أو أربعة، طفلان كانا يلعبان لعبة حفلات الشاي، قطفا ثمار شجر الطّقسوس واستخدماها على أنها هي الشاي.

- هل هذا هو التاكسين؟ ثمار شجر الطقسوس؟

- الثمار أو الأوراق، إنها سامة جداً. التاكسين مادة قلوية بالطبع، وأنا لم أسمع عن قضية استُخدمت فيها هذه المادة عمداً. إنها حقاً قضية مثيرة جداً وغريبة جداً. لعلك تدرك -يا نيل- كم سئمنا من استخدام القَتَلة لمبيدات الحشرات التي صارت ممارسة مملّة، أما التاكسين فإنه متعة حقيقية غير متوقعة! قد أكون مخطئاً بالطبع، فأرجو ألّا تنقل عني هذا الكلام، لكن لا أظن أن تحليلي خاطئ. وأظن أنها قضية مثيرة بالنسبة لك أيضاً. إنها تغير الروتين!

- أي أننا سنقضي جميعاً وقتاً ممتعاً، أليست هذه هي الفكرة؟ ما عدا الضحية طبعاً.

- نعم، نعم؛ مسكين هذا الرجل، إن حظه سيّئ جداً.

- هل قال أي شيء قبل وفاته؟

- كان أحد زملائك جالساً إلى جانبه وهو يحمل دفتراً، وسوف يعطيك التفاصيل الدقيقة. لقد تمتم ببعض الكلمات

بخصوص الشاي، قال إن شيئاً ما وُضع له في الشاي في المكتب. لكن هذا هراء بالطبع.

- ولماذا هو هراء؟

كان المفتش نيل يتكلم بحدّة وهو يتخيل صورة الآنسة غروسفينر وهي تضيف ثمار الطقسوس إلى طبخة الشاي فيجد أنه فعل يتعارض مع صورتها في ذهنه.

- لأنه لا يمكن لمادة التاكسين أن تعطي مفعولاً بهذه السرعة، وقد فهمت أن الأعراض ظهرت عليه حالما شرب الشاي.

- هذا ما قيل.

- لا يوجد سوى عدد قليل جداً من السموم التي تعطي مفعولاً سريعاً بهذا الشكل، ما عدا السيانيد بالطبع، وربما النيكوتين النقي أيضاً.

- ومن المؤكد أنه لم يكن تسمماً بالسيانيد أو النيكوتين؟

- يا صديقي العزيز، لو كان أحد هذين السُّمَّين لمات صاحبك قبل وصول سيارة الإسعاف. آه، لا، ليس في الأمر سيانيد أو نيكوتين. والواقع أنني اشتبهت بوجود الترايلينين لكن التشنّجات لم تكن مطابقة لأعراضه. ما زال كلامي هذا غيرَ رسمي بالطبع، لكني سأراهن بسمعتي على أنه التاكسين.

- وكم تحتاج هذه المادة من الوقت حتى يظهر مفعولها؟

- يمكن أن يظهر الأثر بعد ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات. يبدو أن الرجل كان أَكولاً نهماً، فإن كان قد تناول وجبة إفطار

كبيرة فإنها تؤخّر مفعول السم.

قال المفتش نيل متأملاً: الإفطار؟ نعم، إنه يبدو من الإفطار.

ضحك الدكتور بيرنزدورف وقال: حسناً، أتمنى لك صيداً موفَّقاً يا صديقي.

شكراً لك يا دكتور، أودّ الحديث مع الشرطي الموجود عندكم قبل أن تضع السماعة.

مرة أخرى سمع طقطقات وأجراساً وأصواتاً بعيدة، ثم جاءه صوت أنفاس لاهثة، وهي مقدمة لا بد منها لحديث الرقيب هاي الذي قال بسرعة وإلحاح: سيدي!

- معك نيل. هل قال الفقيد شيئاً يجب أن أعرفه؟

- قال إنه من الشاي الذي شربه في المكتب، ولكن المسؤول الطبي ينفي ذلك.

- نعم، أعرف هذا. هل يوجد شيء آخر؟

- لا يا سيدي... باستثناء شيء واحد غريب. البدلة التي كان يرتديها. فحصت جيوب البدلة وكانت فيها الأغراض المعتادة: منديل ومفاتيح وقطع نقدية ومحفظة... وكان فيها أيضاً شيء غريب تماماً، الجيب الأيمن كانت فيه حبوب!

- حبوب؟

- نعم يا سيدي.

- ماذا تقصد بالحبوب؟ هل تقصد حبوب إفطار كتلك

الرقائق التي تُصنَع من الحبوب؟ أم تقصد حبوب ذرة أو شعير؟

– هذا هو يا سيدي؛ كانت حبوباً نباتية. بدت لي كأنها حبوب الجاودار، كانت كمية كبيرة من هذه الحبوب.

– فهمت. هذا غريب، ولكن قد تكون عيّنة ذات علاقة بصفقة تجارية.

– هذا ممكن يا سيدي، لكن فضّلت أن أخبرك به.

– أحسنت صنعاً يا هاي.

جلس المفتش نيل يحدق أمامه بضع لحظات بعد أن وضع سماعة الهاتف. كان عقله المنظَّم ينتقل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية من التحقيق، من الاشتباه بوجود تسمم إلى التأكد من التسمم. ربما لم تكن كلمات البروفسور بيرنزدورف رسمية، لكن البروفسور ليس بالرجل الذي يخطئ في تشخيصه. لقد مات السيد فورتسكيو بالسم، وربما وُضع له السم قبل ساعة إلى ثلاث ساعات من ظهور الأعراض الأولى عليه، لذلك يبدو من المحتمل أن يكون العاملون في المكتب أبرياء من التهمة.

وقف نيل ومشى إلى المكتب الخارجي. كان بعض العمل المتفرق يجري، لكن الطابعات لم يكنّ يطبعن بسرعتهن الكاملة. وجّه حديثه للآنسة غريفيث: آنسة غريفيث، هل يمكن أن أتحدث إليك مرة أخرى؟

– بالتأكيد يا سيد نيل. هل يمكن السماح لبعض الفتيات بالذهاب لتناول الغذاء؟ لقد مَرّ وقت طويل على موعد غدائهنّ المعتاد.

- يمكنهن الذهاب لتناول الغداء، ولكن يجب أن يَعُدنَ بعده.

- بالطبع.

عاد نيل إلى المكتب الخاص ووراءه الآنسة غريفيث حيث جلست بطريقتها الهادئة التي توحي بالكفاءة. قال المفتش نيل بلا مقدمات: لقد جاءت الأخبار من مستشفى سينت جود. السيد فورتسكيو توفي في الساعة الثانية عشرة وثلاث وأربعين دقيقة.

تلقت الآنسة غريفيث النبأ بلا دهشة، واكتف بأن هزّت رأسها فقط. قالت: كنت أخشى أن يكون مرضه شديداً.

لاحظ نيل أنها لم تشعر بالحزن أو الاكتئاب أبداً. سألها: هل يمكنك إعطائي معلومات تفصيلية عن بيته وعائلته؟

- بالتأكيد. لقد حاولت الاتصال بالسيدة فورتسكيو، ولكن يبدو أنها خارج البيت تلعب الغولف، وهم في البيت لا يتوقعون عودتها لتناول الغذاء، كما أنهم غير متأكدين من مكان اللعب الذي ذهبت إليه. إنهم يعيشون في منطقة بيدون هيث التي تضم ثلاثة من ملاعب الغولف.

فكر المفتش نيل: هذه المنطقة مأهولة بأغنياء المدينة. كانت خدمة القطارات التي تصل إليها ممتازة، وكانت تبعد عن لندن عشرين ميلاً فقط ويسهل الوصول إليها بالسيارة نسبياً حتى خلال ساعات الصباح والمساء المزدحمة بالمرور. قال: أرجو أن تعطيني العنوان بالضبط، ورقم الهاتف أيضاً.

- بيدون هيث، واسم البيت هو «كوخ شجرة الطقسوس».

- ماذا؟!

خرج السؤال الحاد من المفتش نيل قبل أن يسيطر عليه، ثم استدرك سائلاً: هل قلت «شجرة الطقسوس»؟

- نعم.

بدت الآنسة غريفيث فضولية بعض الشيء، لكن المفتش نيل سرعان ما تمالك نفسه ثانية وسألها: هل يمكنك تزويدي بتفصيلات عن عائلته؟

- السيدة فورتسكيو هي زوجته الثانية، وهي تصغره كثيراً، وقد تزوجا قبل سنتين تقريباً. توفيت زوجته الأولى قبل مدة طويلة وله منها ولدان وبنت واحدة، وتعيش البنت في البيت وكذلك الابن الأكبر الذي هو شريك في الشركة، ولكنه -لسوء الحظ- مسافر إلى شمال إنكلترا اليوم في رحلة عمل ومن المتوقع عودته غداً.

- متى سافر؟

- أول أمس.

- هل حاولت الاتصال به؟

- نعم، بعد نقل السيد فورتسكيو إلى المستشفى اتصلت بفندق ميرلاند في مانشستر حيث حسبته يقيم، لكنه كان قد غادر في وقت مبكر من صباح اليوم. أظن أنه كان ينوي الذهاب إلى شيفيلد ولايكستر أيضاً، لكنني لست واثقة من ذلك. يمكنني تزويدك بأسماء شركات معينة قد يقوم بزيارتها في تلك المدن.

رأى المفتش أنها امرأة ذات كفاءة عالية بالتأكيد، ولو قُدِّر لها أن تقتل رجلاً فإنها كانت ستقتله بكفاءة أيضاً! لكنه أرغم نفسه على التخلّي عن تلك التأملات والتركيز على موضوع السيد فورتسكيو. سألها: هل قلت إن له ولداً آخر؟

- نعم، لكنه يعيش في الخارج بسبب خلافه مع والده.

- وهل الولدان متزوجان؟

- نعم، لقد تزوج السيد بيرسيفال منذ ثلاث سنوات، وهو يعيش مع زوجته في شقة مستقلة في بيت العائلة، وسوف ينتقلان إلى منزلهما الخاص في بيدون هيث بعد مدة قصيرة.

- ألم تتمكني من الحديث مع زوجة السيد بيرسيفال فورتسكيو عندما اتصلت هذا الصباح؟

- لم أستطع لأنها ذهبت لقضاء النهار في لندن كما قيل لي. الابن الآخر، لانْسيلوت، تزوج قبل أقل من سنة بأرملة اللورد فردريك آنستيس. أظن أنك رأيت صورها في بعض المجلات مع الخيول وفي سباقات الخيل.

بدت الآنسة غريفيث وكأن أنفاسها قد تلاحقت بعض الشيء واحمرّت وجنتاها قليلاً. وأدرك نيل (السريع في فهم الأمزجة البشرية) أن الزواج أثار شاعريّة الآنسة غريفيث وانبهارها بالطبقات الأعلى، فالأرستقراطية هي الأرستقراطية بالنسبة للآنسة غريفيث، ولعل حقيقة أن اللورد الراحل فردريدك آنستيس كان ذا سمعة سيئة في الدوائر الرياضية لم تكن معروفة لها بالتأكيد. وهو قد انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه قبل قيام المسؤولين بالتحقيق في سباق

شارك فيه أحد خيوله. تذكر نيل شيئاً غامضاً بخصوص زوجته... كانت ابنة نبيل أيرلندي وكان زوجها الأول طياراً قُتل في الحرب، ويبدو أنها تزوجت بعده ابن فورتسكيو المشاغب! افترضَ نيل أن الخلاف الذي أشارت إليه غريفيث بين الفتى ووالده إنما كان دليلاً على حدث مشين في حياة ذلك الشاب.

لانسيلوت... يا له من اسم! وما اسم الولد الآخر؟ بيرسيفال. تساءل: كيف كانت زوجة السيد فورتسكيو الأولى؟ من الواضح أنها كان لها ذوق غريب في اختيار أسماء أولادها.

-٢-

اتجه المفتش نيل إلى الهاتف واتصل بالبدّالة حيث طلب تحويله إلى المنزل رقم ٣٤٠٠ في بيدون هيث، وعلى الفور ردّ عليه صوت رجل: بيدون هيث، ٣٤٠٠.

- أريد التحدث مع السيدة فورتسكيو أو الآنسة فورتسكيو.

- أنا آسف، إنهما غير موجودتين.

استرعى انتباه المفتش أن صاحب الصوت بدا ثملاً بعض الشيء. سأله: أأنت كبير الخدم؟

- هذا صحيح.

- لقد أصيب السيد فورتسكيو بمرض خطير.

- أعرف، لقد اتصلوا بنا وأخبرونا، لكنني لا أستطيع عمل أي شيء في هذا الموضوع، فالسيد فال سافر إلى الشمال، كما

أن السيدة فورتسكيو خرجت تلعب الغولف، والسيدة فال ذهبت إلى لندن ولن تعود حتى وقت العشاء، والآنسة إيلين خرجت مع زميلتها في الكشافة.

- ألا يوجد شخص في المنزل يمكنني الحديث معه بخصوص مرض السيد فورتسكيو؟ الأمر مهم.

- لا أعرف.

بدا الرجل متشككاً ثم قال: توجد الآنسة رامسبوتم، لكنها لا تتكلم بالهاتف أبداً، أو الآنسة دوف... إنها ما يمكن أن تسميه «مدبرة المنزل».

- سأتحدث مع الآنسة دوف من فضلك.

- سأحاول العثور عليها.

كان وقع قدميه المنسحبتين مسموعاً من خلال الهاتف. ولم يسمع المفتش نيل وقع أقدام تقترب، ولكن بعد دقيقة أو اثنتين تكلمت امرأة: الآنسة دوف تتكلم.

كان الصوت من طبقة منخفضة ويدل على اتزان صاحبته مع ألفاظ واضحة محددة، وكوّن المفتش نيل صورة جيدة ومقبولة عن الآنسة دوف.

- يؤسفني أن أخبرك يا آنسة دوف أن السيد فورتسكيو توفي في مستشفى سينت جود قبل وقت قصير. لقد وقع فجأة مريضاً وهو في مكتبه، وأنا حريص على الاتصال بأقاربه.

- بالطبع... لم أكن أعرف.

لم يكن في صوتها انفعال ولكن الصدمة بدت عليها، وأكملت تقول: مع شديد الأسف! إن الشخص الذي ينبغي حقاً أن تتصل به هو السيد بيرسيفال فورتسكيو، فهو الذي يتولى الإشراف على كل الترتيبات اللازمة. ربما استطعت الاتصال به في فندق ميرلاند في مانشستر أو ربما في فندق غراند في لايكستر. أو يمكنك أن تجرب الاتصال بشركة شيرر وبوندز في لايكستر، فقد كان ينوي زيارتها وأعرف رقم هاتفها. ربما استطاعوا إخبارك عن المكان الذي يُتوقع أن يكون فيه اليوم. ستكون السيدة فورتسكيو هنا على العشاء بالتأكيد، وقد تأتي بعد العصر. ستكون صدمة كبيرة لها... لا بد أن الوفاة حدثت فجأة، فقد كان السيد فورتسكيو في أحسن حال عندما تركنا صباح اليوم.

- هل رأيتِه قبل خروجه؟

- نعم. ما هو السبب؟ القلب؟

- هل كان يعاني من متاعب في القلب؟

- لا، لا أظن ذلك، لكني ظننت أنه ما دامت الوفاة قد وقعت فجأة...

ثم سكتت قليلاً قبل أن تكمل: هل تتكلم من مستشفى سينت جود؟ هل أنت طبيب؟

- لا يا آنسة دوف، أنا لست طبيباً. إنني أتكلم من مكتب السيد فورتسكيو في المدينة، وأنا مفتش التحري نيل من إدارة المباحث الجنائية، وسوف آتي لرؤيتكم في أسرع وقت ممكن.

- مفتش التحري؟ هل تقصد... ماذا تقصد؟

- إنها حالة وفاة فجائية يا آنسة دوف، وعندما تحدث حالة وفاة فجائية فإنهم يستدعوننا إلى مكان الحادثة، ولا سيما عندما لا يكون المتوفى قد زار طبيباً في الفترة الأخيرة، وهو ما ينطبق على حالتنا هذه.

لم تكن في كلامه إلا مسحة قليلة من صيغة السؤال، ولكن المرأة أجابت قائلة: أعرف، فقد حدد له السيد بيرسيفال موعدين مع الطبيب لكنه لم يلتزم بهما. لم يكن يفكر بعقلانية، كلهم كانوا قلقين...

سكتت قليلاً ثم تابعت كلامها بأسلوبها السابق المتّزن: لو عادت السيدة فورتسكيو إلى المنزل قبل وصولك فما الذي تريدني أن أقوله لها؟

فكر المفتش نيل بأن مدبرات المنازل هؤلاء عَمَليات بحكم تدريبهن. قال لها: أخبريها فقط أننا نضطر في حالة الوفاة المفاجئة إلى القيام ببعض التحريات... تحريات روتينية.

ثم وضع السماعة.

* * *

الفصل الثالث

وضع نيل سمّاعة الهاتف ونظر بحدّة إلى الآنسة غريفيث قائلاً: إذن فقد كانوا قلقين عليه مؤخراً وطلبوا منه أن يراجع طبيباً؟ أنت لم تخبريني بهذا.

قالت الآنسة غريفيث: لم أفكر في الأمر، لم يَبدُ لي مريضاً حقاً.

- فكيف بدا لك إذن؟

- كان منعزلاً قليلاً فقط... على غير طبيعته وغريباً في سلوكه.

- هل كان قلقاً من شيء ما؟

- آه، لا؛ ليس قلقاً، نحن الذين كنا قلقين.

انتظرها المفتش نيل صابراً، فأكملت قائلة: من الصعب الجزم. لقد كان متقلب المزاج... أحياناً يكون مرحاً ضاحكاً، وبصراحة اعتقدت في بعض الأحيان أنه كان ثملاً، كان يتباهى ويحدثني بقصص غريبة جداً أنا على ثقة أنها لا يمكن أن تكون صحيحة، لأنه كان -في معظم الفترة التي قضيتها معه هنا- شديد الكتمان في أموره الخاصة وما كان ليكشف أي شيء منها، لكنه اختلف تماماً في الفترة الأخيرة فغدا صريحاً غير متحفّظ وصار

يبذر أمواله هنا وهناك، وهذا يتناقض مع طبيعته تماماً. عندما أراد عامل النظافة في المكتب المشاركة في جنازة جده استدعاه السيد فورتسكيو وأعطاه خمسة جنيهات طالباً منه أن يراهن بها على موت أحد أقربائه الآخرين، ثم ضجّ بالضحك! إنه لم يكن... لم يكن على طبيعته، هذا كل ما يمكنني قوله.

- وكأنه كان يضمر شيئاً في رأسه؟

- ليس بالمعنى المعتاد لهذه العبارة. كان كما لو أنه يتطلع إلى حدوث شيء ممتع أو مثير.

- ربما صفقة كبيرة كان سيفوز بها؟

وافقته غريفيث باقتناع أكبر: نعم، نعم؛ هذا أقرب كثيراً إلى ما كنت أعنيه. وكأن الأمور اليومية لم تعد تهمه. كان منفعلاً، وقد جاء بعض الأشخاص الغريبين لرؤيته بخصوص العمل، أناس لم يأتوا هنا من قبل. وقد أزعج هذا الأمر السيد بيرسيفال كثيراً.

- آه، هل أزعجه كثيراً؟

- نعم، فقد كان السيد بيرسيفال محل ثقة والده الذي كان يعتمد عليه كثيراً، ولكنه في الفترة الأخيرة...

- في الفترة الأخيرة لم يكونا على علاقة جيدة.

- حسناً، أقْدَم السيد فورتسكيو على أشياء كثيرة اعتبرها السيد بيرسيفال غير حكيمة. إن السيد بيرسيفال حذر وحريص دائماً، لكن والده لم يعد يصغي لآرائه فجأة مما ضايق السيد بيرسيفال كثيراً.

قال المفتش نيل وهو يمضي في الغوص في تفصيلات القضية: وهل تشاجرا شجاراً حقيقياً بشأن هذه المسألة؟

- لا أعرف عن حدوث شجار. إنني أدرك الآن بالطبع أن السيد فورتسكيو لا يمكن أن يكون على طبيعته... إذ صرخ على ذلك النحو.

- أوَ قد صرخ حقاً؟ ماذا قال؟

- خرج إلى غرفة الطابعات...

- مما جعلكن تسمعن؟

- نعم، وقد سخر من بيرسيفال وحقّره وسَبّه.

- وما الذي فعله بيرسيفال برأي والده؟

- الغريب أنه لم يفعل شيئاً. وصفه والده بالموظف الصغير البائس التافه وقال إنه لا يملك نظرة شمولية ولا يعرف الكيفية التي تتم بها الصفقات الكبرى، ثم قال: سأعيد لانس إلى البيت ثانية، إنه يساوي عشرة من أمثالك، كما أنه أحسنَ اختيار زوجته. إن لانس جريء وشجاع حتى ولو أقدم مرة على التورط بعمل جنائي... يا إلهي! كان يجب أن لا أقول هذا!

غلب الارتباك على الآنسة غريفيث حين انجرفت (كما انجرفت أخريات قبلها) أمام طريقة المفتش نيل الخبيرة في معالجة النفسيات.

قال المفتش نيل مهدّئاً: لا تقلقي، سيظل الماضي ماضياً.

- آه، نعم، كان ذلك منذ مدة طويلة؛ كان السيد لانس شاباً صغيراً ومتحمساً ولم يكن يدرك ما يفعله.

كان المفتش نيل قد سمع ذلك الرأي من قبل ولم يوافق عليه، لكنه تركه ليسأل أسئلة جديدة. قال: أخبريني أكثر عن الوظيفة هنا.

ولكي تتعجل الآنسة غريفيث الهروب من زلة لسانها الحمقاء تلك صبّت كل المعلومات التي تعرفها عن الأشخاص العاملين معها في الشركة، فشكرها المفتش نيل وقال إنه يريد الآنسة غروسفينر ثانية.

برى الشرطي ويت قلم الرصاص الذي كان يكتب به وعلّق بكآبة قائلاً: هذا المكان فخم جداً. ثم دار ببصره بإعجاب على المقاعد الضخمة والمكتب الكبير والإضاءة غير المباشرة وقال: وهؤلاء الناس يحملون جميعاً أسماء فاخرة. غروسفينر... إنه اسم يوحي بعائلة دوق. وفورتسكيو، اسم من أسماء الطبقة الراقية أيضاً.

ابتسم المفتش نيل وقال: لم يكن اسم والده فورتسكيو، بل كان فونتيسكيو، وقد جاء من بلد ما في أوروبا الوسطى. لعل هذا الرجل رأى أن لاسم فورتسكيو صدى أفضل.

نظر الشرطي ويت إلى رئيسه نظرة إجلال واحترام: إذن فأنت تعرف كل شيء عنه؟

- لقد قمت ببعض التحريات قبل أن آتي إلى هنا.

- هل له سجل عندنا؟

- آه، لا، فقد كان السيد فورتسكيو أذكى بكثير من أن يكون له سجل. كانت له صلات معينة بالسوق السوداء وقد أبرم صفقات أقلّ ما يُقال عنها إنها مريبة، لكنها كانت كلها ضمن حدود القانون. كان مراوغاً ولكننا لم نأخذ عليه أي مأخذ، وقد كانت دائرة الضرائب تتعقبه منذ وقت طويل لكنه كان أذكى منهم. لقد كان السيد فورتسكيو الراحل عبقرياً من الناحية المالية.

قال الشرطي ويت بشيء من الأمل: هل كان من النوع الذي يمكن أن يكون له أعداء؟

- آه، نعم، له أعداء بالتأكيد، لكنْ تذكّرْ أن السم وُضع له وهو في بيته... أو هكذا يبدو. أتعرف يا ويت؟ إنني أرى نمطاً معيناً يبرز، نمطاً من طراز قديم مألوف؛ نمط الولد الطيب بيرسيفال والولد السيّئ لانس فاتن النساء، الزوجة التي تصغر زوجها والتي كتمت اسم ملعب الغولف الذي ذهبت لتلعب فيه. هذه الأمور مألوفة، ولكن شيئاً واحداً يبرز معارضاً هذا كله وغيرَ منسجم مع هذا النمط.

سأله الشرطي ويت: وما هو؟

عندئذ فُتح الباب وظهرت الآنسة غروسفينر وقد استعادت اتزانها المصطنَع، وسألت بعجرفة: هل أردت رؤيتي؟

- أردت توجيه بعض الأسئلة إليك بخصوص رئيسك، أو بالأحرى رئيسك الراحل.

- قالت الآنسة غروسفينر بنبرة غير مقنعة: يا للمسكين!

- هل لاحظت عليه أي اختلاف في الفترة الأخيرة؟

- نعم، لقد لاحظت.

- كيف؟

- لا أستطيع شرح الأمر بوضوح. كان يتكلم كثيراً من الكلام التافه الذي لا معنى له، لم أستطع حقاً تصديق معظم ما كان يقوله. ثم إنه كان يفقد أعصابه بسرعة، ولا سيما مع السيد بيرسيفال... ليس معي لأنني لا أجادله أبداً، بل أكتفي بقول "نعم يا سيد فورتسكيو" مهما كانت غرابة ما يقوله لي.

- وهل سبق له... حسناً، هل سبق له أن أبدى إعجاباً بك أو حاول جذب انتباهك؟

أجابته الآنسة غروسفينر بشيء من الأسف: لا، لا أستطيع أن أزعم أنه فعل.

- أمر آخر يا آنسة غروسفينر: هل كان من عادة السيد فورتسكيو حمل حبوب في جيبه؟

ظهرت دهشة محبّبة على وجه الآنسة غروسفينر وقالت: حبوب؟ في جيبه؟ هل تقصد حبوباً لإطعام الحمام مثلاً؟

- ربما كانت لهذا الغرض.

- آه، أنا متأكدة أنه لم يكن يحمل معه أي شيء من ذلك. السيد فورتسكيو يطعم الحمام؟! آه، لا.

- هل كان من المتوقع أن يحمل في جيبه اليوم (لأي سبب خاص) بعض حبوب القمح أو شيئاً من حبوب الجاودار؟ ربما

كعيّنة لصفقة تجارية تتعلق بالحبوب مثلاً؟

- آه، لا. كان يتوقع حضور مسؤولين من شركة النفط الآسيوية بعد ظهر اليوم، ثم رئيس جمعية مباني أيتكاس. لا أحد غير هؤلاء.

- جيد.

أنهى نيل الموضوع وصرف الآنسة غروسفينر بإشارة بيده، فقال الشرطي ويت وهو يتنهد: إنها ترتدي جوارب نايلون من النوع الراقي.

قال المفتش نيل: الجوارب الراقية لا تساعدني في عملي. ها أنذا أنتهي حيث بدأت؛ بملء جيب من حبوب الجاودار... ولا تفسير لها.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com